بيـــن صنـــــاعة الوهـــــم والطاغوت

يولد الإنسان على فطرته السليمة فتصنع منه بيئته سراجًا للحكمة أو عنوانًا للدناءة على حسب ما يحيط به من معامل التأثير حتى يتصوّر بعضهم أنه بلغ رتبة الكمال من المعرفة و يظنُّ أنَّ من يخالفه يعيش النقص والعوز الفكري، بل قد يتمادى أحيانًا ليجعل من نفسه وصيًّا فيسعى إلى هداية الآخرين وتعليمهم وكأنَّه جعل من نفسه قيِّمًا على المجتمع أو لتصوُّره أنَّه أحاط بالمعارف واهتدى إلى سبيل الرشاد من دون الخلق؛ فيما ينظر إليه الآخرون أنه هو المتلبّس بالباطل والضائع بين المهتدين؛ بل يعيش السفاهة بعد أن تسمّم بما يناسب ذوقه المعرفي من دون اطّلاع على القراءات الأخرى التي يمكنها أن تستوعب الآخر باعتبار الناس كما يقول سيد البلاغة: (إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)؛ فهذه المساحة من الاستيعاب لا يغادرها إلّا من تغذّى على النطيحة والمتردّية من المعارف عبر قنوات الوعي أو اللاوعي.

إنّ المشهد العراقي بات أكثر تعقيدًا في ظلِّ القناعات التي يتصوَّرها بعضهم، القائمة على أنَّ الآخر إمَّا معي فينبغي أن يكون مثلي في قراراته ومنشوراته وتعليقاته أو هو عدوٌّي فلا يمكن أنْ أجالسه أو أحاوره؛ إذ لا توجد مساحة للطرف الثالث الذي قد يختلف مع الفريقين الذَيْن عمدا إلى تحجيم نفسيهما وتعطيل وسائل التفكير والمحاورة بعد أنْ تسافلا بشعارات برَّاقة جميلة مُزيَّنة بثوب النزاهة والتقوى، في حين أنهما أو أنَّ أحدهما قد تعلق بأذيال الشيطان الأكبر من حيث يعلم أو لا يعلم وأصبح منقادًا لتوجيهاته الدمويَّة لتحجيم الفرقاء والجلوس على التلِّ ضاحكًا مستبشرًا.

إنَّ صناعة الوهم ليس بِدعًا من قبل السفهاء أو الجبابرة والطواغيت، فهم يعتاشون على مرِّ التاريخ على إيجاد مساحة من الخلاف بين الفرقاء لتوهينهم وكسر شوكتهم ليكون الحسم في كلِّ أمر بتوجيه المتسلّطين ، وقد نجحوا مرَّة أخرى بالاعتماد على السفهاء في تقويض آمال الشَّعب وتعليق مستقبل العراق بمجموعة من الصعوبات أهونها التهديد بإظهار مؤشّرات الحرب الأهليَّة بين الإخوة والأصحاب، وهذا الزخم الكبير بتخريب المشهد العراقي ومحاولة إغراقه في المتاهات وعدم الاستقرار سيكون له أثرٌ كبيرٌ على بعضهم للتوجّه نحو التطبيع بقصد رعاية حقوق الشعب وضرورة معالجة الأوضاع الراهنة والخروج من الأزمات الكثيرة ولاسيَّما أن هؤلاء قد أيقنوا أنَّ التطبيع سبيل الانفراج.

إنَّ من السفاهة أنْ نتصوَّر أنّ الشيطان الأكبر تركنا لنقرّر مصيرنا من دون أنْ يكون له أتباع من بيننا يلتزمون أوامره ولا يحيدون عن مصالحه؛ لذلك على من يوقِن بضرورة حُبِّ الوطن ومظلوميَّة الشعب وحرمان العامَّة أن يستعدَّ لمواجهة التحدِّيات و ينطلق من نهضة الحسين (عليه السلام) ومناهجه الحقيقية في التصدِّي لمعامل الفساد المعروفة المتستِّرة بثياب الإصلاح ومحاولة استيعاب الغافلين الذين انغمسوا في مكائد الشيطان الذي صنع لهم عالمًا من الوهم وتربّع كالطاغوت على أفكارهم يُسيِّرُهم حسب نزواته و يقودهم إلى رغباته وهم لا حول لهم ولا قوَّة كأنَّهم إلى نصبٍ يوفضون.